# من ثنايا التاريخ

## نابليون وعصره

### أيهما تأثر بالآخر ؟

لم يستطع كثير من المؤرخين أن يجيبوا جواباً حاسماً على سؤال طالما وجه إليهم أو طالما وجهوه إلى أنفسهم وهو : هل تأثر نابليون بونابرت بعصره أم تأثر عصره به ؟

أما إن الاجابة على هذا السؤال عسيرة فأمر لا شك فيه ، ولكن هؤلاء المؤرخين لم يحاولوا مرة واحدة أن يتحللوا مما قيدوا به أنفسهم من البحث فى عصر نابليون ، ولو أنهم رجعوا قليلا إلى الوراء وحاولوا أن يستنبطوا من وقائع الثورة الفرنسية وظروفها منارا يهتدون به فى بحوثهم ومناقشاتهم التاريخية ، لاستطاعوا أن يجيبوا ولو إجابة عامة أقرب ما تكون إلى المنطق والحقيقة .

فأذا ما تناولنا علاقة نابوليون بالثورة الفرنسية وجدناه يدعي أنه وريثها ، العامل على كبح جماحها وتنظيم نتائجها وإنضاج ثمارها ، لكن دعواه هذه لا ترقى فى عين من عرك الثورة وأطال البحث فى شؤونها وشجونها ، لان شخصا واحدا مهما أوتى من القدرة والذكاء لا يستطيع أن يسيطر على حركة ثورية برمتها بل لا يستطيع أن ينظم نتائجها ويخفف من حدتها ، ومع هذا فقد كان لنابوليون فضله الواضح فى بعض الحركات المتممة لهذه الثورة ونقلها من ميدان الاضطراب والشذوذ إلى ميدان العقل والحكمة فقضى فى سنة ١٧٩٩ على حدة سنة ١٧٨٩

ولد نابوليون الثانى فى كورسيكا ، فى الخامس عشر من أغسطس سنة ١٧٦٩ ببلدة أجاكسيو من أعمال جزيرة كورسيكا ؛ وكان والده شارل من رجال القانون والأدب ، وكانت أمه ليتيزيا من خير نساء هذه الجزيرة وهما من أصل توسكانى ومن أسرة لعبت أدواراً مذكورة فى السياسة والأدب .

وإلى أن بلغ نابوليون العشرين ، كان يمقت فرنسا مقتا شديدا لأنها استعمرت بلاده وغزتها ولم تؤثر فى هذا الشعور تربيته العسكرية فى بريين وباريس ، ولكن بسط الأنظمة

الفرنسية الجديدة على كورسيكا فى سنة ١٨٩٠ ملكت عليه نفسه فمال ميلا واضحا إلى فرنسا واعتبرها أمه الرؤوم.

واستهوته فى ذلك الحين الأنظمة الديمقراطية الجديدة [illegible] الجديد ، إلى الانخراط فى سلكه والانتظام بصفوفه ، وعاصر حماسته الثورة فى مشاهد آثارها فى باريس فكتب لوالده فى الثالث من شهر يوليو سنة ١٧٩٢ يقول له : إن كل شىء يدل على أن كل واحد من الزعماء يريد اجتذاب الشعب إليه ويريد أن يتبع أهواءه ويحقق أغراضه الشخصية ولو من طريق الإرهاب ، فالدسائس اليوم ما تزال بالغة من الخسة والدناءة ما بلغت فى الأيام الماضية » .

وعاد نابليون الضابط الصغير إلى كورسيكا وتزعم حزب فرنسا أى الحزب الديمقراطى ، ولكنه تعرض لحملات باؤولى والملكيين ففر مع أسرته إلى بروفانس فى شهر يونية سنة ١٧٩٣ وانقطعت بهذا الفرار صلته بوطنه وانحاز إلى اليعقوبيين الذين كانوا قابضين عندئذ على زمام البلاد ، وبدأ يتألق نجمه عندما قاد المدفعية فى الحرب الانجليزية الفرنسية ، فقد تمكن من طرد الأميرال ( هود ) هو ومن معه من القوات الانجليزية والأسبانية من تولون.

وحدث بعدئذ أن سقط روبسبير فبات موقف نابليون حرجا دقيقا فأخرج من الجيش ولما اعتزمت فرنسا شن الغارة على شمال إيطاليا لم يجد زعماء العسكرية غير نابليون فدعى مرة أخرى ولكنه أبى هذه المرة إلا أن يتولى القيادة بنفسه فأستدت إليه .

وكان نابوليون يتتبع خلال إقامته فى باريس حركات الزعماء والقادة ، وكان شديد الامتعاض من تركهم الشعب الفرنسي فى مستواه الوضيع ومن عدم محاولتهم ترقية الحالة النفسية فى هذا الشعب المضطرب ، وكان لحربه مع النمسا فى شمال أيطاليا شأن فى نفسه كما كان لها شأن فى عظمته ، إذ ذاعت شهرته وبات يحلم بالملك والسلطان ، فهذه الآمال والأحلام هى التى كونت نابليون وهى التى جعلته يميل إلى تنظيم فرنسا وتهذيب سياستها ، واستغلال نتائج الثورة .

ولما وثق نابليون من مركزه فى فرنسا بات يتطلع إلى الحكم الأوتقراطي ( المستبد ) وكانت هذه الروح التى ملكت عليه عقله وسيطرت على لبه نشوة من نشوات الانتصار ، لكنه مع ذلك رأى أن الوقت لم يحن بعد لبسط أوتقراطية والاعتزاز بالسلطان ، فاتجه إلى الشرق لتتم بفتحه عظمته ، وتتضح ثمار ظفره وانتصاره ، فقد صور لصديقه ( فوانيى ) تلك الأمبراطوريات الواسعة التى كانت تعمر الشرق وتسيطر عليه ، وألقى فى روعه أن مصر وسوريا ستكونان الدرتين اليتيمتين فى التاج الأمبراطورى الرفيع ، وستكون مصر وحدها وسيلة لتخليص الهند من أيدى الانجليز وضمها إلى الأمبراطورية الشرقية .

وفى سنة ١٧٩٧ أرسل أحد أعوانه إلى مالطه ليكدر صفو فرسان القديس يوحنا ، ثم وجه تهديدا إلى النمسا بأنها إذا لم تسلمه مفاتيح الأدرياتيك وشرق البحر الأبيض المتوسط فانه سيشن عليها الغارة مرة أخرى فأذعنت ، وبهذا الاذعان أصبح نابليون واثقاً من قواعده البحرية فأخذ بعد المدة سراً لتجهيز حملته على مصر لغزوها وفتح البحر الأحمر وقطع الطريق على الانجليز فى الهند ومما شجعه على المضى فى مشروعه الواسع عدم وجود أية قاعدة بحرية للانجليز شرقى جبل طارق .

وفى ١٩ من شهر مايو من هذه السنة وجه حملته إلى مصر وكانت مؤلفة من ثلاث عشرة بارجة كبيرة ، وأربع عشرة بارجة متوسطة ، وأربعمائة سفينة صغيرة تحمل جيشاً زهاء ٣٥٠٠٠ جندى ، وصحبه فى هذه الحملة طائفة من العلماء الفرنسيين لدراسة آثار مصر القديمة ولانشاء معهد علمى فرنسى فى القاهرة .

ولم تمض أيام حتى استولى على (مالطه) بلاعناء ، وقصد إلى الاسكندرية حيث أنزل جنوده فى المنطقة الغربية من المدينة ثم أخذ يزحف بجيوشه إلى داخل البلاد حتى التقى بجيش المماليك عند القاهرة فى ٢١ يوليو سنة ١٧٩٨ فهزمهم ، وواصل غزوته إلى أن وصلت إليه الأنباء بأن الأميرال البريطانى (نلسون) دمر أسطوله فى خليج أبى قير فلم يؤثر هذا الحادث فى تصميمه واقراره بل راح يزحف على سوريا بجيوشه البرية فوصل إلى عكا وكانت البوارج البريطانية قد مدت يد المساعدة إلى حامية هذه المدينة فاستطاعت أن تهزمه وترده على أعقابه

كانت هذه المحاولات من جانب نابوليون فاتحة عصر جديد فى السياسة الأوروبية فقد كانت هذه السياسة ترمى إلى محاربة الاستبداد وإحياء الديمقراطية ، فاتجهت بعد هذه المحاولات والغزوات إلى تطلع الدول المختلفة إلى الاستعمار والغزو .

ولما عاد نابوليون إلى فرنسا أخذ يعزو إخفاقه إلى ضعف الحكومة المركزية فقال مخاطباً قناصلها : « ماذا فعلتم بفرنسا التى تركتها بين أيديكم عزيزة قوية ؟ لقد تركتكم فى أمان واطمئنان فألفيتكم عند عودتى إليكم فى حرب واضطراب ، لقد تركتكم منتصرين فأصبحتم مهزومين ، تركت لكم الملايين ، فأصبحتم فقراء مشردين ، فهذه الحالة السيئة يجب أن تنتهى ويوشك لها حد » .

وبهذه الدعاية السيئة ، وتسوى ، تمكنت الحكومة استطاع أن يحدث الانقلاب الشهير فى ٩ نوفمبر سنة ١٧٩٩ ، وهو الانقلاب الذى أودى بحكومة الديركتوار وقوض أركانها وهدم صرحها ، خصوصا عندما ألقى فى روع المفكرين أن هذه الحكومة تتآمر على سلامة

الدولة مع الانجليز ، مما حمل الجيش على اقتحام قصر سان كلود الذى اجتمع به أعضاء مجلس الدريكتوار الخمسة وطردهم منه وشتت شملهم بقيامهم ذلك أصبح نابوليون نفسه دبكتاتورا على فرنسا تحت ستار القنصلية عام ١٨٠٤ حيث نودى به قنصلا أول مدى الحياة ..

« ٥ »

يتضح من هذا أن نابليون تأثر بعصره وما تخلله من ظروف وملابسات كل التأثر، وأن عصره تأثر به كذلك وبشخصيته الممتازة ونفسه الوثابة وجرأته النادرة ، فان قيل أن نابوليون تأثر بعصره فحسب ، كان هذا غير صحيح ، وإن قيل أن عصره تأثر به فقط كان ذلك غير صحيح أيضا ، وإذن نستطيع أن نؤكد أن كلا منهما تأثر بالآخر ؟

عزيز طلعت

---

## المعلم

مصباح هدى فى الدجى وضاء ... وبك البلاد بهيجة غناء
بانى العقول وأنت منشىء مجدها ... وعلى فؤادك للبلاد رجاء
فاخلص لأمتك العزيزة هادئا ... ابلغ مكانا شأوه العلياء
وكفاك ذكر فى البلاد خالد ... وكفاك مجد دونه الجوزاء

صدقا

عبد الحافظ أحمد الرفاعى
المدرس

---

## التعليم . التعليم !

نشرت جريدة الأهرام بعددها الصادر فى ١٩ يناير سنة ٩٣٥ تحت « أقوال الجرائد العربية » افتتاحية لجريدة مصر وقد رمى كاتبها معلمى التعليم الأزهرى بالجهل ووصفهم بعدم معرفتهم صوغ الكلمات .. الخ فانا منه أن جريدة مصر لا تروج إلا عن طريق التشهير ببعض الناس والجماعات ، وأهملنا الرد عليها فى حينها ضاربين صفحا عما كتبه حضرة الكاتب .

وقد وردت إلينا مقالات عدة لكثير من المعلمين فى سائر أنحاء القطر وكلها تتضمن ردا على هذه الجريدة وما كتب فى ورقاتها .

وإننا مع شكرنا لحضرات المعلمين غيرتهم فأنا لا نقيم أى وزن لمثل هذا الكاتب الذى نرفعنا عن الرد عليه وكفاه ردا ما وجده من خذلان بين ؟